سليمان بن عبد الملك

أعلام الخلفاء
الأمويين

سليمان بن عبد الملك

هو سليمان بن عبد الملك بن أبي العاص بن أمية الخليفة أبو أيوب القرشي الأموي بويع بعد أخيه الوليد سنة ست وتسعين، كان دينا فصيحا- مفوها عادلا- محبا- للغزو والجهاد في سبيل الله، كان يستعين في أمر الرعية بعمر بن عبد العزيز، وعزل عُمّال الحجّاج. وكتب إن الصلاة قد أميتت فأحيوها بوقتها، وهمَّ بالإقامة ببيت المقدس، ثم نزل قنسرين للرباط وحجّ في خلافته، وعن ابن سيرين قال: يرحم الله سليمان افتتح خلافته بإحياء الصلاة واختتمها باستخلاف عمر، وكان ينهي الناس عن الغناء [1].

كانت خلافة سليمان بن عبد الملك تمثل بداية المرحلة الجديدة إذ اتسمت سياسته بإيثار السلامة والعافية والنزوع إلى الموادعة والأخذ برأي أهل العلم والفضل من باب العمل بمفهوم الشورى والتمسك بالتعاليم والأحكام الإسلامية، والحرص على تنفيذها، وهي الأمور التي وضحها في خطبته التي خطبها بعد استخلافه، وبين فيها سياسته التي سينتهجها في الحكم.

وقد وصفه المؤرخ الشيعي المسعودي بأنه كان يؤثر السلامة والعافية ونزوعه إلى الموادعة واستشارة أهل العلم بقوله: كان سليمان لين الجانب.. لا يعجل إلى سفك الدماء ولا يستنكف عن مشورة النصحاء[2]، ووصفه ابن كثير بقوله: يرجع إلى دين وخير ومحبة للحق وأهله، وإتباع القرآن والسنة وإظهار الشرائع الإسلامية رحمه الله[3]، ووصفه لسان الدين الخطيب بقوله: وكان قائما- برسوم

(1) تاريخ الطبري، 396/7، سير أعلام النبلاء، 111/5، البداية والنهاية 642/12.
(2) التنبيه والإشراف، صـ319.
(3) البداية والنهاية، 642/12.

الشريعة[1]. وأما ابن قتيبة فيقول: افتتح بخير وختم بخير لأنه رد المظالم إلى أهلها، ورد المسيرين وأخرج المسجونين الذين كانوا بالبصرة واستخلف عمر ابن عبد العزيز وأغز أخاه الصائفة حتى بلغ القسطنطينية، فأقام بها حتى مات[2]، وأما أبي زرعة الدمشقي، فقد عد خلافة سليمان، وخلافة عمر بن عبد العزيز واحدة، حيث يقول: كانت خلافة سليمان ابن عبد الملك كأنها خلافة عمر بن عبد العزيز، كان إذا أراد شيئا- قال له: ما تقول يا أبا حفص؟ قالا جميعا-[3].

كما تميز سليمان بن عبد الملك بحرصه على تقريب العلماء وقبول نصيحتهم والاستماع إليهم من اشهر هؤلاء العلماء الذين كانوا مستشارين، رجاء بن حيوه، وعمر بن عبد العزيز وغيرهم..

ومن الشيء اللافت في حياة سليمان بن عبد الملك ما قدمته المصادر الشيعية من وصف للعديد من مناقب سليمان، حيث ذكرت محاسنه الخلقية، ووصفته بالفصاحة، والتوقف عن سفك الدماء، وباستشارة النصحاء، ورد المظالم، وبتوالي الفتوحات في أيامه، وعلى النقيض من ذلك، فإن رواة الشيعة لما لم يجدوا ما يقدح بسيرة سليمان ومنجزاته، نجدهم يركزون جل اهتمامهم على وصفه بالشراهة وبالغوا في ذلك أيما مبالغة، فتارة يصفونه بأنه لا يكاد يشبع، وتارة يصفونه بأنه المصيبة العظمة في الأكل، وتارة يصفونه بأنه أكولا- نهما- نكاحا-. ويبدو أن الروايات الموالية للعباسيين، والروايات الشيعية تناست صعوبة وربما استحالة أن من جمع بين هذه المحاسن أن تكون همته مصروفة إلى النكاح والطعام، ولو كان

(1) خلافة سليمان بن عبد الملك، ص98.
(2) المعارف، ص360.
(3) تاريخ أبو زرعة، 193/1- 194.

الأمر على ما يقولون، فلن ينتصف سليمان للمظلومين، ولن يعير السياسة الداخلية، والخارجية أي اهتمام، ولكان إنكفى على تلبية ملذاته ورغباته، ولكن سيرته وسياسته ومنجزاته العمرانية والعسكرية كفيلة بالرد على هذا الاتهام، وقد ذكرت قصص في هذا الميدان، تشبه الأساطير كالتي ذكرها ابن أبي الحديد: وكان سليمان بن عبد الملك المصيبة الكبر في الأكل، حيث أكل ثلاثين خروفا- بثمانين رغيفا- ثم أكل مع الناس كأنه لم يأكل شيئا-[1]

وغيرها من القصص الغريبة والعجيبة ويتبين للدارس المحقق أن المبالغة واضحة جلية في تصوير شره سليمان لعدة أسباب:

أ - مخالفتها للطبيعة البشرية التي لا تستطيع إلتهام هذا الكم الهائل من الطعام مع ملاحظة أن المصادر تصفه بنحافة البدن مما يتعارض وشرهه الموصوف في هذه الروايات.

ب - أن هذه الروايات جاءت من طريقين هما:

-.. المؤرخون ذو الميول الشيعية مثل: اليعقوبي، والمسعودي، وابن أبي الحديد، وابن الطقطقا.

-.. المؤرخون ذو الميول العباسية مثل: الواقدي، والمدائني، ويبدو أن الأمر لم يعد كونه وجود شهية قوية للأكل عند سليمان، واستغل خصوم الأمويين من عباسيين وشيعة هذا الأمر وضخموه[2].

وذكر المؤرخون أن سليمان بن عبد الملك لبس في يوم جمعة حلة صفراء ثم نزعها ولبس بدلها حلة خضراء واعتم بعمامة خضراء وجلس على فراش أخضر، وقد بسط ما حوله بالخضرة ثم نظر في

(1) شرح ابن أبي الحديد، 465/5، خلافة سليمان صـ65.
(2) أنظر: الصلابي، الدولة الأموية.

المرآة فأعجبه حسنه وشمر عن ذراعيه وقال: أنا الخليفة الشاب وقيل إنه كان ينظر في مرآة من فرقه إلى قدمه ويقول: أنا الملك الشاب، وفي رواية أنه كان ينظر فيها ويقول: كان محمد نبيا- صلى الله عليه وسلم، وكان أبو بكر صديقا- وعمر فاروقا-، وكان عثمان حييا-، وكان علي شجاعا- وكان معاوية حليما-، وكان يزيد صبورا-، وكان عبد الملك سائسا-، وكان الوليد جبارا-، وأنا الملك الشاب، قالوا: فما دار عليه شهر وفي رواية: جمعة حتى مات، ولمّا حُمَّ شرع يتوضأ فدعا بجارية فصبت عليه ماء الوضوء ثم أنشدته:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى :: غير أن لا بقاء للإنسان
ليس فيما علمته فيك عيب :: كان في الناس غير إنك فان

فصاح بها وقال: عزتني في نفسي وصرفها ثم أمر خاله الوليد بن القعقاع العنسي أن يصب عليه وقال:

قرّ وضوءك يا وليد فإنما :: هذه الحياة تعلة ومتاع

فقال الوليد:

فاعمل لنفسك في حياتك :: فالدهر فيه فرقة وجماع
صالحا-

وكان سليمان بمرج دابق من أرض قنسرين، فأمر خاله فوضأه، ثم خرج يصلي بالناس، فأخذته لجة في الخطبة ثم نزل وقد أصابته حمى، فاستمر فيها حتى مات في الجمعة المقبلة، وكان قد أقسم أنه لا يبرح دابقا- حتى يرجع إليه الخبر بفتح القسطنطينية، أو يموت قبل ذلك، فمات قبل ذلك - رحمه الله وأكرم مثواه - وكان آخر ما تكلم به أن قال: أسألك منقلبا- كريما-. ثم قضى، وكان لرجاء بن حيوه أثر كبير في تولية عمر بن عبد العزيز، ولم يكن للشيطان نصيب في

قرار سليمان بتولية عمر الخلافة من بعده، وقال عبد الرحمن بن حسان الكناني: لما مرض سليمان بن عبد الملك المرض التي توفي فيه، وكان مرضه بدابق، ومعه رجاء بن حيوه، فقال لرجاء بن حيوه: يا رجاء من لهذا الأمر من بعدي. استخلف ابني؟ قال: ابنك غائب. قال: فالآخر؟ قال: ذاك صغير. قال: فمن ترى؟ قال: أرى أن تستخلف عمر بن عبد العزيز. قال: أتخوف من بني عبد الملك ألا يرضوا. قال: فولي عمر بن عبد العزيز ومن بعده يزيد بن عبد الملك، وتكتب كتابا- وتختم عليه وتدعوهم إلى بيعة مختومة عليها، قال: لقد رأيت، إئتني بقرطاس. قال: فدعا بقرطاس فكتب فيه العهد لعمر بن عبد العزيز ومن بعده يزيد بن عبد الملك، ثم ختمه، ثم دفعه إلى رجاء، قال: أخرج إلى الناس فمرهم أن يبايعوا على ما في هذا الكتاب مختوما-. قال: فخرج إليهم رجاء فجمعهم، وقال: إن أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا لمن في هذا الكتاب من بعده. قالوا: ومن فيه؟ قال: مختوم، لا تخبرونا بمن فيه حتى يموت، قال: لا نبايع حتى نعلم ما فيه. قال: فرجع رجاء إلى سليمان، قال: إنطلق إلى أصحاب الشرطة والحرس، وناد الصلاة جامعة، ومر الناس فليجتمعوا، ومرهم بالبيعة على ما في هذا الكتاب، فمن أبى أن يبايع منهم فاضرب عنقه، قال: ففعل، فبايعوا على ما فيه. قال رجاء: فلما خرجت إلى منزلي، فبينما أنا أسير في الطريق، إذ سمعت جلبة موكب فالتفت فإذا هشام، فقال لي: يا رجاء قد علمت موقعك منا وإن أمير المؤمنين قد صنع شيئا- لا أدري ما هو، وأنا أتخوف أن يكون قد أزالها عني فإن عدلها عني فأعلمني ما دام في الأمر نفس، حتى أنظر في هذا الأمر قبل أن يموت. قال: قلت: سبحان الله، يستكتمني أمير المؤمنين أمرا- أطلعك

عليه لا يكون ذلك أبدا-، فأدارني وألاصنى[1]، فأبيت عليه، قال: فانصرف، بينما أنا اسير إذ سمعت جلبة خلفي، فإذا عمر بن عبد العزيز فقال لي: يا رجاء إنه قد وقع في نفسي أمر كثير من هذا الرجل، أتخوف أن يكون قد جعلها إلي، ولست أقوم بهذا الشأن، فاعلمني ما دام في الأمر نفس لعلي أتخلص منه ما دام حيا-. قلت: سبحان الله، استكتمني أمير المؤمنين أمرا- وأطلعك عليه، فأدارني وألاصني، فأبيت عليه. قال رجاء: وثقل سليمان، وحجب الناس عنه حتى مات فلما مات أجلسته وأسندته وهيأته، وخرجت إلى الناس، فقالوا: كيف أصبح أمير المؤمنين؟ فقلت: إن أمير المؤمنين أصبح ساكنا- وقد أحب أن تسلموا عليه، وتبايعوا على ما في هذا الكتاب، والكتاب بين يديه. قال: فإذنت للناس فدخلوا عليه وأنا قائم عنده فلما دنوا قلت إن أمير المؤمنين يأمركم بالوقوف ثم أخذت الكتاب من عنده ثم تقدمت إليهم فقلت: إن أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا على ما في هذا الكتاب. قال: فبايعوا، وبسطوا أيديهم، فلما بايعتهم على ما فيه أجمعين وفرغت من بيعتهم قلت لهم: آجركم الله في أمير المؤمنين قالوا فمن؟ فافتتح الكتاب فإذا فيه العهد لعمر بن عبد العزيز، فلما نظرت بنو عبد الملك تغيرت وجوههم.

وفي رواية أنه لما انتهى رجاء إلى عمر بن عبد العزيز نادى هشام بن عبد الملك: لا نبايعه أبدا-. فقال رجاء: أضرب والله عنقك، قم فبايع. فقام يجر رجليه. فلما قرأوا من بعده يزيد بن عبد الملك كأنهم تراجعوا، وقد توفي سليمان يوم الجمعة لعشر بقين من صفر 99هـ وكانت وفاته بمرج دابق، واختلف المؤرخون بنوع مرضه الذي مات فيه. فقسم منهم، قال: إنه أصيب بالتخمة وهذا رأي

(1) ألاصه: أي راوده.

ضعيف، وقسم آخر قال: إنه أصيب بذات الجنب، وظهرت له أعراض المرض فعرضت له سعلة وهو يخطب فنزل وهو محموم، فما جاءت الجمعة التالية حتى مات، كما روى سبط ابن الجوزي ما نصه: ما زال سليمان بعد وفاة ابنه يذوب وينحل حتى مات كمدا-[1]، وقد توفي وعمره على الأرجح 39 سنة، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز. وكان في نقش خاتمه: آمنت بالله مخلصا-. وقد كانت خلافته ثلاث سنين إلا أربعة أشهر وقيل ثلاث سنين، وقيل كانت ولايته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام [2].

مواقف من حياته:

غيرة سليمان بن عبد الملك:

كان سليمان بن عبد الملك من أشدّ النّاس غيرة-. فحكي أبو زيدٍ الأسدي قال: دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو على دكانٍ مبلّطٍ بالرّخام الأحمر، مفروشٌ بالدّيباج الأصفر في وسط بستانٍ قد أينعت ثماره، ورنت أطياره، وأزهر نبت الرّبيع؛ وعلى رأسه وصائف كلّ واحدةٍ أحسن من صاحبتها، فقلت: السّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. وكان سليمان مطرقا- فرفع رأسه فقال: أبا زيد، في مثل هذا اليوم يصلب أحدٌ حيّا-. فقلت: يا سيّدي، يا أمير المؤمنين، أو قد قامت القيامة؟ قال: نعم على رأس أهل الهوى سرّا-.

تستحييه في الحياة والممات:

قال الأصمعي: خرج سليمان بن عبد الملك ومعه سليمان بن المهلّب بن أبي صفرة من دمشق متنزّهين، فمرّا بالجبانة، وإذا امرأةٌ جالسةٌ على قبرٍ تبكي، فهبّت الرّيح، فرفعت البرقع عن وجهها، فكأنّها

(1) مرآة الزمان، 230/12.
(2) سير أعلام النبلاء، 124/5 - 126، تاريخ القضاعي، ص358.

غمامةٌ جلت شمسا-، فوقفنا متعجّبين ننظر إليها، فقال لها ابن المهلّب: يا أمة الله، هل لك في أمير المؤمنين بعلا-؟ فنظرت إليهما، ثمّ نظرت إلى القبر، وقالت:

فإن تسألاني عن هواي، فإنّه : بملحود هذا القبر، يا فتيان
وإني لأستحييه والتّرب بيننا :: كما كنت أستحييه وهو يراني

فانصرفنا ونحن متعجّبون [1].

نحن وفد الشكر:

قدم وفد من العراق على سليمان بن عبد الملك فقام رجل منهم فقال: يا أمير المؤمنين ما أتيناك رغبة ولا رهبة قال: فلم جئتم؟ قال نحن وفد الشكر، أما الرغبة فقد وصلت إلينا في رحالنا وأما الرهبة فقد أمناها بعدلك ولقد حببت إلينا الحياة وهونت علينا الموت فأما تحبيبك إلينا الحياة فلما انتشر من عدلك وأما تهوينك علينا الموت فلما نثق منك فيمن تخلف من أعقابنا عليك، فوصله وأحسن جائزته وجوائز أصحابه [2].

يجيء يوم القيامة بين أبيك وأخيك:

ودخل يزيد بن مسلم على سليمان بن عبد الملك، وكان مصفرا- نحيفا-، فقال سليمان: على رجلٍ أجرك رسنك وسلطك على المسلمين لعنة الله. فقال: يا أمير المؤمنين إنك رأيتني والأمر عني مدبرٌ، فلو رأيتني وهو علي مقبلٌ لا ستعظمت مني يومئذٍ ما استصغرت اليوم. قال: فأين الحجاج؟ قال: يجيء يوم القيامة بين أبيك وأخيك، فضعه

(1) ابن الجوزي، أخبار النساء، ص29، 41.
(2) ابن الجوزي، الأذكياء، ص68.

حيث شئت[1].

كأنه إعصار الريح:

وفيما يحكى عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج في حياة أبيه لمتنزهه، فبسط له في صحراء، فتغدى مع أصحابه، فلما حان انصرافه، تشاغل غلمانه بالترحال، وجاء أعرابي، فوجد منهم غفلة، فأخذ دواج سليمان، فرمى به على عاتقه، وسليمان ينظر إليه.

فبصر به بعض حشمه، فصاح به: ألق ما عليك! فقال الأعرابي: لا لعمري! لا ألقيه ولا كرامة! هذا كسوة أمير المؤمنين وخلعته.

فضحك سليمان، وقال: صدق، أنا كسوته. فمر كأنه إعصار الريح[2].

قبل الحسرة والندامة:

حدّث أبو زكريّا التيميّ قال: بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أتي بحجر منقور فطلب من يقرأه، فأتي بوهب بن منبّه فقرأه فإذا فيه: ابن آدم، إنّك لو أبصرت قليل ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك، ولقصّرت عن حرصك وحيلك، وإنما يلقاك غدا- ندمك، لو قد زلّت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، فبان منك الولد القريب، ورفضك الوالد والنسيب، فلا أنت إلى دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة، قبل الحسرة والندامة. قال: فبكى سليمان [3].

(1) أبو حيان علي بن محمد ابن العباس التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1424 هـ 2003 م، ص488،.

(2) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، ص22.

(3) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 461/1،.

فأهل ذلك أنا:

غضب سليمان بن عبد الملك على خالد بن عبد الله القسري فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين! إن القدرة تذهب الحفيظة، وإنك تجل عن العقوبة فإن تعف فأهل ذلك أنت، وإن تعاقب فأهل ذلك أنا؛ فعفا عنه [1].

ومن أنت؟

قال المدائني: كان يزيد بن راشد خطيبا-، وكان فيمن دعا إلى خلع سليمان بن عبد الملك والبيعة لعبد العزيز بن الوليد، فنذر سليمان قطع لسانه. فلما أفضت الخلافة إليه دخل عليه يزيد بن راشد، فجلس على طرف البساط مفكرا-، ثم قال: يا أمير المؤمنين، كن كنبي الله صلى الله عليه وسلم، ابتلي فصبر، وأعطي فشكر، وقدر فغفر؛ قال: ومن أنت؟ قال: يزيد بن راشد. فعفا عنه.

فضعه من النار حيث شئت:

دخل يزيد بن أبي مسلم على سليمان بن عبد الملك، فقال له سليمان: على امرئ أمرك وجرأك وسلطك على الأمة لعنة الله، أتظن الحجاج استقر في قعر جهنم أم هو يهوي فيها؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن الحجاج يأتي يوم القيامة بين أخيك وأبيك، فضعه من النار حيث شئت.

ما هكذا:

لما ولي سليمان بن عبد الملك كتب إلى عامله بالأردن: اجمع يدي عدي ابن الرقاع إلى عنقه وابعث به إلي على قتب بلا وطاء، ووكل به من ينخس به؛ ففعل ذلك؛ فلما انتهى إلى سليمان بن عبد الملك ألقي

(1) ابن الحداد، الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، ص24.

بين يديه وهو لقى لا حراك فيه ولا روح، فتركه حتى ارتد إليه روحه، ثم قال له: أنت أهل لما نزل بك، ألست القائل في الوليد:

معاذ ربي أن نبقى ونفقده ⁝ وأن نكون لراع بعدهم تبعا

وقال: لا والله يا أمير المؤمنين، ما هكذا قلت، وإنما قلت:

معاذ ربي أن نبقى ونفقدهم ⁝ وأن نكون لراع بعدهم تبعا

فنظر إليه سليمان واستضحك، ثم أمر له بصلة وخلى سبيله.

وما تعرفني يا أمير المؤمنين؟

ودخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك، فقال له: من أنت؟ وتجهم له كأنه لا يعرفه: فقال له الفرزدق: وما تعرفني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا؛ قال: أنا من قوم منهم أوفى العرب، أسود العرب، وأجود العرب، وأحلم العرب، وأفرس العرب، وأشعر العرب: قال: والله لتبينن ما قلت أو لأوجعن ظهرك؛ ولأهدمن دارك، قال: نعم يا أمير المؤمنين، أما أوفى العرب، فحاجب بن زرارة، الذي رهن قوسه عن جميع العرب فوفى بها: وأما أسود العرب، فقيس بن عاصم، الذي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسط له رداءه، وقال: هذا سيد الوبر؛ وأما أحلم العرب، فعتاب بن ورقاء الرياحي؛ وأما أفرس العرب، فالحريش بن هلال السعدي؛ أما أشعر العرب فأنذا بين يديك يا أمير المؤمنين، فاغتم سليمان مما سمع من فخره ولم ينكره، وقال: ارجع على عقبيك، فما لك عندنا شيء من خير. فرجع الفرزدق وقال:

أتيناك لا من حاجة عرضت لنا ⁝ إليك ولا من قلة في مجاشع

فضل العَقل على المنطِق حِكمة:

وقال محمد بن الغاز: دخل رجل على سُليمان بن عبد الملك، فتكلَم عنده بكلام أعجب سُليمانَ، فأراد أن يخْتبره لينظر أعقلُه على قَدْر كلامه أم لا، فوجده مَضْعوفا- فقال: فضل العَقل على المنطِق حِكمة، وفَضْل المنطِق على العقْل هجنة، وخير الأمور ما صدقت بعضها بعضا-، وأنشد:

وما المَرْءِ إلا الأصْغرانِ لسانُه :: ومَعْقوله والجسْم خَلْق مُصورُ
فإنْ تَمر منه ما يَرُوق فربّما :: أمر مَذاقُ العَود والعُودُ أخْضر

كلام أبي حازم لسليمان بن عبد الملك:

حجّ سُليمان بن عبد الملك، فلما قَدِمَ المدينةَ للزيارة بَعث إلى أبي حازم الأعرج، وعنده ابن شِهاب، فلما دخل قال: تكلّم يا أبا حازم. قال: فيم أتكلّم يا أمير المُؤمنين؟ قال: في المَخْرج من هذا الأمر؛ قال: يَسِيرٌ إن أنت فعلتَه؛ قال: وما ذاك؟ قال: لا تأخذ الأشياء إلاّ من حِلِّها، ولا تَضَعْها إلا في أهلها؛ قال: ومن يَقوى على ذلك؟ قال: مَن قلَّدَه الله من أَمر الرعيّة ما قلَّدك. قال: عِظْني يا أبا حازم؟ قال: اعلم أنَّ هذا الأمر لم يَصِرْ إليك إلا بمَوْت من كان قَبْلَك، وهو خارجٌ من يديك بمثل ما صار إليك. قال: يا أبا حازم، أَشِر عليَّ؛ قال: إنما أنت سُوق فما نفق عندك حُمِل إليك من خير أو شرّ، فاشتر أيَّهما شِئتَ. قال: مالك لا تأتينا؟ قال: وما أَصنع بإتيانِك يا أمير المؤمنين؟ إن- أَدْنَيْتَني فتنْتَني، وإن أقصَيتني أَخْزَيْتني، وليس عندك ما أرجوك له، ولا عِنْدي ما أَخافُك عليه. قال: فارفع إلينا حاجتَك؛ قال: قد رفعتُها إلى ما مَن هو أقدرُ منك عليها، فما أَعطاني منها قَبِلْتُ، وما مَنَعَني منها رَضِيتُ.

لك لا عليك:

دخل أعرابيٌّ على سُليمان بن عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين، إني مُكلِّمك بكلام فاحتَمِلْه إن كرهتَه، فإن وراءه ما تُحب إن قبلتَه؟ قال: هات يا أعرابيّ؟ قال: إني سأطلق لساني بما خَرستْ عنه الأَلْسُن من عِظتك تأدية- لحق الله تعالى وحقِّ إمامتك، إنه قد اكتَنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم فابتاعوا دُنياك بدينهم، ورِضاك بسُخْط ربهم، خافُوك في الله ولم يَخافوا الله فيك، فهم حَرْب للآخرة، سِلْمِ للدنيا، فلا تَأمنهم علِى ما ائتمنك الله عليه، فإنهم لا يألونك خبالا-، والأمانة تَضييعا-، والأُمةَ عَسْفاً وخَسْفا-، وأنت مَسْؤول عما آجترحوا، وليسوا مَسْؤولين عما اجترحتَ، فلا تُصْلح دُنياهم بفَساد آخرتك، فإنَّ أَخْسَر الناس صَفْقة- يوم القيامة وأَعظمَهم غبْنا- مَن باع آخرتَه بدُنيا غيره. قال سليمان: أما أنت يا أَعرابيّ فقد سَلَلْتَ لسانك وهو أحدّ سيفَيْك. قال: أجلْ يا أمير المؤمنين، لك لا عليك.

مُحَبّرة م-زَوّرة يا أميرَ المؤمنين؟

ودَخل أعرابيّ على سُليمان بن عبد الملك، فقال له: أصابتك سَماءٌ في وَجهك يا أعرابيّ؛ قال: نعم يا أميرَ المؤمنين، غيرَ أنها سَحَّاء طَخْياء وَطْفَاء، كأنّ هواديَها الدِّلاء، مُرْجَحنَّة النَواحي، موصولة بالآكام، تَمسّ هامَ الرِّجال، كَثِير زَجَلها، قاصفٌ رَعْدُها، خاطف بَرْقها، حَثِيث وَدْقها، بطيء سَيْرها، مُتَفجّر قَطْرها، مُظلم نَوْؤها، قد ألجأت الوحشَ إلى أوطانها، تَبْحث عن أصولها بأظْلافها، مُتَجمّعة بعد شَتاتها، فلولا اعتصامُنا يا أميرَ المؤمنين بعِضاه الشَجر، وتعلُّقنا بقنَن الجبال، لكُنّا جُفَاء في بَعْض الأودية وَلَقَم الطَريق، فأطال الله للأمّة بقاءك، ونَسألها في أجلك، فهذا، ببركتك، وعادة اللهّ بك على رعيّتك، وصلّى اللهّ على سيدنا محمد. فقال سُليمان: لَعَمْرُ أبيك، لئن كانت

بديهة- لقد أحسَنت، وإن كانت مُحَبَرة لقد أجدت؛ قال: بل مُحَبّرة م- زَوّرة يا أميرَ المؤمنين؟ قال: يا غلام، أعطه، فوالله لصِدْقُه أعجبُ إلينا من وَصْفه.

لكان رأسك مثلَ رأس البَغْل:

وحضر أعرابيّ سُفْرة سُليمان بن عبد الملك، فلما أتي بالفالوذج جَعَل يُسْرع فيه، فقال سليمان: أتَدْري ما تأكْل يا أعرابي؟ فقال: بلى يا أمير المؤمنين، إني لأجد رِيقا- هنيئا- ومُزْدَرَدا- لينا-، وأظنه الصراطَ المُستقيم الذي ذَكره الله في كتابه. قال: فَضَحك سليمان، وقال: أزيدك منه يا أعرابي؟!، فإنهم يذكرون أنّه يزيد في الدَماغ؟ قال: كذَبوك يا أمير المؤمنين، لو كان كذلك لكان رأسك مثلَ رأس البَغْل.

خطبة لسليمان بن عبد الملك:

خطب سليمان بن عبد الملك فقال: الحمد لله، ألا إن الدُّنيا دار غُرور، ومنزل باطل، تُضْحِك باكيا-، وتُبْكي ضاحكا-، وتُخِيف أمِنا-، وتُؤمِّن خائفا-، وتُفقِر مثرْيا-، وتثري مُقْتِرا-، مَيَّالة غرَّارة، لعَّابة بأهلها. عبادَ الله، فاتّحذوا كِتاب الله إماَما-، وارَتضُوا به حَكما-، واجعلوه لكم قائدا-، فإنه ناسخٌ لما كان قبلَه، ولم يَنْسخه كتاب بعده. واعلموا عبادَ الله أن هذا القران يَجْلو كيْدَ الشِّيطان، كما يجلو ضوءُ الصُّبح إذا تنفّس، ظلام الليل إذا عَسْعَس.

عَجّلنا على قُتيبة:

لما بلغ قُتَيبَةَ بنَ مسلم أنّ سليمان بن عبد الملك عَزله عن خُراسان واستعمل يزيدَ بن المهلب، كتب إليه ثلاث صُحف، وقال للرسول: ادفع إليه هذه، فإن دَفعها إلى يزيد فادفع إليه هذه، فإن شَتمني فادفع

إليه هذه. فلما سار الرسولُ إليه دفع الكتابَ إليه، وفيه: يا أمير المؤمنين، إنّ من بلائي في طاعة أبيك وأخيك كَيْتَ وكَيت. فدفع كتابَه إلى يزيد. فأعطاه الرسولُ الكتابَ الثاني، وفيه: يا أمير المؤمنين، كيف تأمن ابنَ دَحْمة على أسرارك وأبوه لم يَأْمنه على أمهات أولاده؟ فلما قرأ الكتاب شَتَمه وناوله ليزيد. فأعطاه الثالثَ وفيه: من قُتيبة بن مُسلم إلى سليمان بن عبد الملك. سلامٌ على من اتبع الهدى. أما بعد. فواللهّ لأوثقنَّ له أخيّةَ لا ينزِعها المَهر الأرِن. فلما قرأها قال سُليمان: عَجّلنا على قُتيبة، يا غلام، جدِّد له عهداً على خُراسان.

ولكن كيف أصنع بوصيَّة أمير المؤمنين:

وأراد سُليمان بن عبد الملك أن يَحْجر على يزيد بن عبد الملك، وذلك أنه تزوَج سُعدى بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان فأصدقها عشرين ألف دينار، واشترى جارية بأربعة آلاف دينار. فقال سليمان: لقد هَممتُ أن أضربَ على يد هذا السفيه، ولكن كيف أصنع بوصيَّة أمير المؤمنين بابني عاتكة: يزيد ومروان!

وأنا الحجاج:

كان سليمانُ بن عبد الملك يكتب إلى الحجّاج في أيام أخيه الوليد بن عبد الملك كُتبا- فلا يَنظر له فيها. فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم. من سليمان بن عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف: سلامٌ على أهل الطاعة من عباد الله.. أما بعد. فإنك امرؤ مَهْتوك عنه حجابُ الحقّ، مولَع بما عليك لا لك، مُنصرف عن مَنافعك، تاركٌ لحظّك، مُستخفّ بحق الله وحق أوليائه. لا ما سلف إليك من خير يَعطفك، ولا ما عليك لا لك يصرِفك. في مُبهمة من أمرك مَغْمور مَنكوس مُعصوصر عن الحق اعصيصارا-، ولا تتَنكَّب عن قَبيح، ولا تَرعوي عن إساءة، ولا ترجو الله وقارا-، حتى دُعيت فاحشا- سبَّابا-. فقِسْ

شِبرك بفَترك، واحذُ زمام نَعلك بحذو مثله. فايم الله لئن أمكنني الله منك لأدوسنّك دَوْسة تلين منها فرائصك، ولأجعلنّك شريدا- في الجبال، تلوذ بأطراف الشمال، ولأعَلقنّ الرّ-ومية الحمراء بثَدْييها. علم الله ذلك منّي وقضىَ لي به عليّ، فقِدْما- غرّتك العافية، وانْتحيتَ أعراضَ الرّجال، فإنك قَدَرْتَ فَبَذخْتَ، وظَفِرت فتعدَّيت. فرويدكَ حتى تنظر كيف يكون مصيرُك إن كانت بي وبك مُدة أتعلّق بها، وإن تكن الأخرى فأرجو أن تَؤول إلى مَذلة ذَليل، وخِزْية طويلة، ويُجعل مصيرُك في الآخرة شرَّ مَصير. والسلام.

فكتب إليه الحجاج: بسم الله الرحمن الرحيم. من الحجاج بن يوسف إلى سُليمان بن عبد الملك. سلامٌ على من اتّبع الهدى. أما بعد. فإنك كتبتَ إليّ تَذْكر أنّي امرؤ مَهْتوك عنّي حِجابُ الحق، مُولَع بما عليّ لا لي، مُنصرف عن منافعي، تاركٌ لحظّي، مُستخف بحقّ الله وحقّ وليّ الحق. وتذكر أنك ذو مُصاولة ولَعمري إنك لصبيٌّ حديث السنّ تُعذَر بقلّة عَقلك وحَداثة سنّك ويُرقَب فيك غيرُك، فأما كتابُك إليّ فلَعمري لقد ضَعُف فيك عقلك، واسْتُخِفّ به حلمُك، فلِله أبوك. أفلا انتصرت بقضاء الله دون قَضاءك، ورجاءِ الله دون رجائك، وأمتَّ غيظك، وأمنت عدوّك، وسترت عنه تدبيرك، ولم تُنَبّهه فيَلتمسَ من مُكايدتك ما تلتمس منِ مُكايدته، ولكنّك لم تَسْتشِفّ الأمور علما-، ولم تُرزق من أمرك حَزْما-. جمعتَ أمورا- دلاك فيها الشيطانُ على أسوأ أمرك، فكان الجفاءُ مِن خليقتك، والْحُمق مِن طَبيعتك، وأقبل الشيطانُ بك وأدبر، وحدّثك أنك لن تكون كاملا- حتى تَتعاطى ما يَعيبك. فتَحذلقت حنجرتُك لقوله، واتّسعت جوانبُها لكذبه. وأما قولُك لو مَلّكك الله لعلّقت زينبَ بنت يوسف بثَدْييها، فأرجو أن يكرمها الله بهَوانك، وأن لا يُوَفّق ذلك لك إن كان ذلك مِن رأيك، مع أنّي أعرف أنك كتبتَ

إليَ والشيطانُ بين كَتفَيك، فشرٌّ مُمْل على شرٍّ كاتب راض بالخَسف، بالحُمق أن لا يدلّك على هُدى، ولا يردّك إلا إلى رَدى. وتحلَّب فُوك للخلافة، فأنت شامخ البَصر، طامح النَّظر، تظنُّ أنك حين تَمْلكها لا تَنْقطِع عنك مُدتها. إنها لُقطة الله التي أسأل أن يُلهمك فيها الشكر، مع أني أرجو أن ترغب فيما رغب فيه أبوك وأخوك فأكون لك مثلي لهما. وإن نَفخ الشيطان في مُنخريك فهو أمر أراد الله نَزعه عنك وإخراجه إلى مَن هو أكمل به منك. ولعمري إنها لنصيحة، فإنْ تَقبلها فمثلُها قُبل، وإن تردّها عليّ اقتطعتُها دونك؟ وأنا الحجاج [1].

ويحك! جعلتني مَشْجوجا-:

سَمر الفرزدقُ والأخطلُ وجرير عند سليمان بن عبد الملك ليلة-، فبينما هم حوله إذ خفَق. فقالوا: نَعس أمير المؤمنين، وهمّوا بالقيام. فقال لهم سليمان: لا تقوموا حتى تقولوا في هذا شعرا-. فقال الأخطل:

رَماه الكَرى في رأسه فكأنّه :: صَرِيع تَروّى بين أَصحابه خَمْرا

فقال له: ويحك! سكران جعلتَني ثم قال جرير بن الخَطَفي:

رماه الكَرى في رأسه فكأنما :: يرى في سواد الليل قنبرة- حَمْرا

فقال له: ويحك! أجعلتَني أَعمى. ثم قال الفرزدق بعد هذا:

رماه الكَرى في رأسه فكأنما :: أَمِيمُ جَلاميدٍ تَركْن به وَقرا

قال له: ويحك! جعلتني مَشْجوجا-. ثم أذن لهم فانقلبوا، فحيّاهم وأعطاهم.

من لي بدواء ما لا يشتكى؟ وعلاج ما لا يسمى؟

(1) العقد الفريد، 2 /216.

قال أبو زيد الأسدي: دخلت على سليمان بن عبد الملك بن مروان، وهو جالس على دكان مبلط بالرخام الأحمر، مفروش بالليباج الأخضر، في وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع، وإذا بإزاء كل شق من البستان ميدان بنبت الربيع قد أزهر. وعلى رأسه وصائف، كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها. وقد غابت الشمس فنضرت الخضرة، وأضعفت في حسنها الزهرة، وغنت الأطيار فتجاوبت، وسفت الرياح على الأشجار فتمايلت، بأنهار فيه قد شققت، ومياه قد تدفقت. فقلت: السلام عليك يا أيها الأمير ورحمة الله وبركاته. وكان مطرقا-، فرفع رأسه وقال: أبا زيد، في مثل هذا الحين يصاب أحد حيا؟ قلت: أصلح الله الأمير، أو قد قامت القيامة بعد. قال: نعم، على أهل المحبة سرا- والمراسلة بينهم خفية. ثم أطرق مليا، ثم رفع رأسه فقال: أبا زيد، ما يطيب في يومنا هذا؟ قلت: أعز الله الأمير، قهوة صفراء في زجاجة بيضاء، تناولها مقدودة هيفاء، مضمومة لفاء دعجاء. أشربها من كفها، وأمسح فمي بفمها. فأطرق سليمان مليا- لا يحير جوابا-، تنحدر من عينه عبرات بلا شهيق. فلما رأى الوصائف ذلك تنحين عنه. ثم رفع رأسه فقال: أبا زيد، حللت في يوم فيه انقضاء أجلك، ومنتهى مدتك، وتصرم عمرك، والله لأضربن عنقك أو لتخبرني ما أثار هذه الصفة من قلبك. قلت: نعم أصلح الله الأمير، كنت جالسا- عند باب أخيك سعيد ابن عبد الملك، فإذا أنا بجارية قد خرجت إلى باب القصر كالغزال انفلت من شبكة الصياد، عليها قميصٌ سكبٌ يتبين منه بياض بدنها، وتدوير سرتها، ونقش تكتها، وفي رجليها نعلان صراران، قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها، مضمومة بفرد ذؤابة تضرب إلى حقويها، وتسيل كالعثاكيل على منكبيها، وطرة قد أسبلت على متني جبينها، وصدغان قد زينا

كأنهما نونان على وجنتيها، وحاجبان قد قوسا على محجري عينيها، وعينان مملوءتان سحرا-، وأنف كأنه قصبة در، وفم كأنه جرح يقطر دما. وهي تقول: عباد الله، من لي بدواء ما لا يشتكى؟ وعلاج ما لا يسمى؟ طال الحجاب، وأبطأ الجواب، فالفؤاد؟ طائر، والقلب عازب، والنفس والهة، والفؤاد مختلس، والنوم محتبس، رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا-، وماتوا تبلدا-، ولو كان إلى الصبر حيلة، وإلى العزاء سبيل، لكان أمرا جميلا-، ثم أطرقت طويلا-، ثم رفعت رأسها. فقلت: أيتها الجارية، إنسية أنت أم جنية؟ سمائية أم أرضية؟ فقد أعجبني ذكاء عقلك، وأذهلني حسن منطقك. فسترت وجهها بكمها كأنها لم ترني، ثم قالت: اعذر أيتها المتكلم الأريب، فما أوحش الساعة بلا مساعد، والمقاساة لصبٍ معاند، ثم انصرفت. فوالله، أصلح الله الأمير، ما أكلت طيبا- إلا غصصت به لذكراها، ولا رأيت حسنا- إلا سمج في عيني لحسنها. قال سليمان: أبا زيد، كاد الجهل أن يستفزني، والصبا أن يعاودني، والحلم أن يعزب عني؛ لحسن ما رأيت وشجو ما سمعت، تلك هي الذلفاء التي يقول فيها الشاعر:

إنما الذلفاء ياقوتة ::: أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخير ألف ألف درهم. وهي عاشقة لمن باعها، والله إني من لا يموت إلا بحزنها، ولا يدخل القبر إلا بغصتها، وفي الصبر سلوة، وفي توقع الموت نهية، قم أبا زيد فاكتم المفاوضة. يا غلام ثقله ببدرة. فأخذتها وانصرفت. قال أبو زيد: فلما أفضت الخلافة إلى سليمان صارت الذلفاء إليه، فأمر بفسطاط، فأخرج على دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء، مونقة زهراء، ذات حدائق بهجة، تحتها أنواع الزهر الغض، من بين أصفر فاقع، واحمر ساطع، وأبيض ناصع، فهي كالثوب الحرمي. وحواشي البرد الأتحمي، يثير

منها مر الرياح نسيما يربى على رائحة العنبر، وفتيت المسك الأذفر. وكان له مغن ونديم وسمير يقال له سنان، به يأنس وإليه يسكن. فأمر أن يضرب فسطاسه بالقرب منه. وقد كانت الذلفاء خرجت مع سليمان إلى ذلك المنتزه، فلم يزل سنان يومه ذلك عند سليمان في أكمل سرور، وأتم حبور، إلى أن انصرف مع الليل إلى فسطاسه. فنزل به جماعة من إخوانه فقالوا له: قرانا، أصلحك الله. قال: وما قراكم؟ قالوا: أكل وشرب وسماع. قال: أما الأكل والشرب فمباحان لكم، وأما السماع فقد عرفتم شدة غيرة أمير المؤمنين ونهيه إياي عنه، إلا ما كان في مجلسه. قالوا: لا حاجة لنا بطعامك وشرابك إن لم تسمعنا. قال: فاختاروا صوتا- واحدا- أغنيكموه. قالوا. غننا صوت كذا. قال: فرفع عقيره يتغنى بهذه الأبيات:

محجوبة سمعت صوتي فأرقها ... من آخر الليل لما طلها السحر
تثنى على الخد منها من معصفرة ... والحلي بادٍ على لباتها خصر
في ليلةٍ لا يدري مضاجعها ... أوجهها عنده أبهى أم القمر
لم يحجب الصوت أحراسٌ ولا غلق ... فدمعها لطروق الصوت منحدر
لو خليت لمشت نحوي على قدم ... تكاد من لينها للمشي تنفطر

فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت إلى وسط الفسطاط تستمع، فجعلت لا تسمع شيئا من حسن خلق ولطافة قد إلى الذي وافق المعنى، من وقت الليل واستماعها الصوت إلا رأت ذلك كله في نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكنا- في قلبها، فهملت عيناها وعلا نشيجها. فانتبه سليمان فلم يجدها معه، فخرج إلى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحال، فقال لها: ما هذا يا ذلفاء؟ فقالت:

ألا رب صوت رائع من مشوه : قبيح المحيا واضع الأب والجد
يروعـك منــه صـوته ولعلــه :: إلى أمة يعزى معاً- وإلى عبد

فقال سليمان: دعيني من هذا، فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر. يا غلام، علي بسنان. فدعت الذلفاء خادما لها فقالت: إن سبقت رسول أمير المؤمنين إلى سنان فحذره ولك عشر آلاف درهم، وأنت حر لوجه الله. فخرج الرسول. فسبق رسول سليمان. فلما أتي به قال: يا سنان، ألم أنهك عن مثل هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، حملني الثمل وأنا عبد أمير المؤمنين وغذي نعمته، فإن رأى أمير المؤمنين أن لا يضيع حظه من عبده فليفعل. قال: أما حظي منك فلن أضيعه، ولكن ويلك! أما علمت أن الرجل إذا تغنى أصغت المرأة إليه، وأن الحصان إذا صهل استودقت له الفرس، وأن الجمل إذا هدر ضبعت له الناقة، وأن التيس إذا نب استحرمت له الشاة؟ إياك والعود إلى ما كان منك فيطول غمك[1].

كيف ترينني؟

وذكر عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج من الحمام، وهو الخليفة، يريد الصلاة، ونظر في المرآة فأعجبه جماله، وكان حسن الوجه، فقال: أنا الملك الشاب، ويروى " الفتى " فتلقته إحدى حظاياه، فقال لها: كيف ترينني؟ فتمثلت في البيتين المتقدم ذكرهما، فتطير بهما ورجع، فحم فما بات إلا ميتاً- تلك الليلة [2].

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 141، 146، 147، 152، 167، 310، 311، 444، 454، 5/2، 156، 157، 345، 414.
(2) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص 155.

لا والله لا أفعل أبدا-:

وحدث الرياشي أن سليمان بن عبد الملك لما حج ونزل الطائف هاربا- من وَمَد مكة، قال له رجل من ثقيف: انزل عليّ، فقال: إنك لن تطيقني، فقال: إني لأطيقك. فنزل عنده أياما-، ثم ارتحل، فأمره بالخروج معه، فقالت له امرأته: اخرج معه إلى مستقره، فقال: أعمل معه ماذا؟ أقول له أعطني ثمن ما أكلته عندي! لا والله لا أفعل أبدا-(1).

خصلة من ثلاث:

ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، عندي نصيحة. قال: وما نصيحتك هذه؟ قال: فلان كان عاملا- ليزيد بن معاوية وعبد الملك والوليد، فخانهم فيما تولاه ثم اقتطع أموالا- كثيرة جليلة فمر باستخراجهما منه. قال: أنت شر منه وأخون حيث أطلعت على أمره وأظهرته ولولا أني أنفر النصاح لعاقبتك، ولكن اختر مني خصلة من ثلاث. قال: اعرضهن يا أمير المؤمنين. قال: إن شئت فتشنا عما ذكرت، فإن كنت صادقا- مقتناك، وإن كنت كاذبا- عاقبناك وإن استقلت أقلناك، فاستقاله الرجل.

قاتلها الله هي والله أشعرهم:

قال سليمان بن عبد الملك: أنشدوني أحسن ما سمعتم من شعر النساء، فقال بعضهم: يا أمير المؤمنين سار رجل من الظرفاء في بعض طرقاته، إذ أخذته السماء، فوقف تحت مظلة ليستكن من المطر، وجارية مشرفة عليه، فلما رأته حذفته بحجر فرفع رأسه وقال:

(1) المبرد، الفاضل، ص 10.

لــو بتفاحــةٍ رميــت رجونــا ⁝ ومـن الرمـي بالحصـاة جفـاء

فأجابته:

مـا جهلنـا الـذي ذكـرت مـن الشـــــــــــــكل ⁝ ولا بالـــذي نـــراه خفـــاء

وداية معها، فقالت:

قـد بدأتيـه مـا ذكـرت وجـدي ⁝ ليـت شـعري فهـل لهـذا وفـاء

وسائلة في الباب، فقالت:

قـد لعمـري دعوتهـا فاجابـت ⁝ هــي داءٌ وأنــت منــه شــفاء

قال سليمان: قاتلها الله هي والله أشعرهم.

مساوئ شدة الغيرة والعقوبة عليها:

حكى عن سليمان بن عبد الملك أنه كان في بعض أسفاره، فسمر معه قوم، فلما تفرقوا عنه، دعا بوضوء، فجاءت به جارية، فبينما هي تصب الماء على يده، إذ استمدها، وأشار إليها مرتين أو ثلاثا- فلم تصب عليه، فأنكر ذلك، ورفع رأسه، فإذا هي مصغية بسمعها، مائلة بجسدها إلى صوت غناء من ناحية العسكر، فأمرها فتنحت، فسمع الصوت فإذا رجل يغني، فأنصت له حتى فهم ما غنى، فدعا بجارية غيرها فتوضأ، فلما أصبح، أذن للناس، فأجرى ذكر الغناء، فلم يزل يخوض فيه حتى ظن القوم أنه يشتهيه؛ فأفاضوا فيه وذكروا ما جاء في الغناء، والتسهيل لمن سمعه، وذكروا من كان يسمعه من سروات الناس، فقال: هل بقي أحد يسمع منه؟ فقال رجل من القوم: عندي رجلان من أهل الأبلة محكمان، قال: فأين منزلك من العسكر؟ فأومأ إلى ناحية الغناء، فقال سليمان: ابعث إليهما، ففعل، فوجد الرسول

أحدهما وأقبل به، وكان اسمه سمير، فسأله عن الغناء، وكيف هو فيه، قال: محكم، قال: متى عهدك به؟ قال: البارحة، قال: وفي أي النواحي كنت؟ فذكر الناحية التي سمع منها الصوت قال: وما اسم صاحبك؟ قال: سنان. قال: فأقبل سليمان على القوم فقال: هدر الفحل فضبعت الناقة، ونب التيس فشكرت الشاة، وهدل الحمام فزافت الحمامة، وغنى الرجل فطربت المرأة، ثم أمر به فخصي، وسأل عن الغناء أين أصله؟ قالوا: بالمدينة وهم المخنثون، فكتب إلى عامله أن أخص من قبلك من المخنثين [1].

محاسن النظر في المظالم:

دخل رجل في جماعة من الناس على سليمان بن عبد الملك وهو جالس للعامة فقال: يا سليمان أذكّرك يوم الأذان. قال: فارتاع لما دعاه باسمه وقال: ويحك وما يوم الأذان؟ قال: قول الله جل ذكره: " فأذّن مؤذنٌ بينهم أن لعنة الله على الظالمين ". فبكى سليمان وقال له: ما حاجتك؟ فقال: أنا جار في ضيعتك الفلانية وقد ظلمني وكيلك فأضرّ ذلك بي وبعيالي. قال: قد وهبت لك الضيعة. وكتب إلى وكيله بتسليمها إليه.

كفّ عني فإني أنفعك:

وقدم وفد من العراق على سليمان بن عبد الملك فقضوا حوائجهم وانصرفوا. فقال رجل منهم: بلغني أن أمير المؤمنين يبرز للعامة فأنا أقيم بعدكم يوما- أو يومين فلعلي أن أراه وأسمع كلامه ثم أتبعكم. فلما كان في الغد برز سليمان للناس وجلس على سريره وأذن للعامة فدخلوا وفيهم العراقي. فجلس في سماط سليمان إلى جنب رجل أحمق

(1) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري، المحاسن والأضداد، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي - القاهرة / مصر - 1415هـ - 1994م، ص 50، 128، 192.

من أهل الشأم. فقال له الأحمق: ممن الرجل؟ قال: أنا من أهل العراق. وقال: فعل الله بك وفعل، وجعل يشتمه ويذكر أباه وعرضه، وقال: مثلك يقعد في سماط أمير المؤمنين! والعراقيّ يناشده الله ويسأله أن يكفّ عنه فيأبى، إلى أن قال سليمان: أيكم يخبرني من الذي يقول:

أنخـــن القـــرون فعقّلْنَهـــا ⁝ كعطف العسيب عراجين ميلا

ويفسّر لنا قوله فله جارية برحالتها؟ والشامي مقبل على العراقي لا يفتر عن شتمه ويقول: يا جاسوس. فقال له: كفّ عني فإني أنفعك. قال: وهل معك خير؟ قال: نعم، قم فقل لأمير المؤمنين أنا أعرف من قال هذا وأفسره، فإذا قال: من قاله؟ فقل: امرؤ القيس، فإذا قال: ما عنى به؟ فقل: البطيخ. فقال الشاميّ: يا أمير المؤمنين أنا أعرف من قال هذا وأفسره. فقال: هات. قال: امرؤ القيس. فتبسم سليمان وقال: فما عنى به؟ قال: البطيخ. فضحك سليمان حتى استلقى على فراشه ثم قال: ويحك عمن أخذت هذا العلم؟ فقال: عن هذا العراقي. فأشار سليمان إلى العراقي فأقبل إليه، فقال له: من أنت؟ قال: رجل من أهل العراق كنت قدمت مع فلان وفلان فقضوا حوائجهم وانصرفوا فأقمت أرقب جلوس أمير المؤمنين فقعدت إلى هذا الشاميّ فلم يدع سبا- ولا شتما- إلا استقبلني به. فقلت له كفّ عني فإني أنفعك، قل لأمير المؤمنين كذا وكذا، فكان منه ما قد سمعته. فضحك وقال: أتعرف أنت من قاله؟ قلت: كثيّر عزة. قال: وما عنى به؟ قلت: قرون الرأس، والعسيب الخادم، والعراجين قد اختلفوا فيه فقال بعضهم عناقيد الكرم وقال بعضهم عراجين النخل. فأمر له بجائزة سنيّة وقال له: الحق بأصحابك [1].

(1) إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص210، 250.

أنا ابن محي الموتي:

وتفاخر جرير والفرزدق عند سليمان بن عبد الملك فقال الفرزدق أنا ابن محي الموتي فأنكر سليمان قوله فقال يا أمير المؤمنين قال الله تعالى (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) وجدي فدى الموءودات فاستحياهن فقال سليمان إنك مع شعرك لفقيه وكان صعصعة جد الفرزدق أول من فدى الموءودات.

فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج:

وقيل إن الحجاج أخذ يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وعذبه واستأصل موجوده وسجنه فتوصل يزيد بحسن تلطفه وأرغب السجان واستمالة وهرب هو والسجان وقصد الشام إلى سليمان بن عبد الملك ابن مروان وكان الخليفة في ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك فلما وصل يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن إليه وأقامة عنده فكتب الحجاج إلى الوليد يعلمه أن يزيد هرب من السجن وأنه عند سليمان بن عبد الملك أخي أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين وأن أمير المؤمنين أعلى رأيا فكتب الوليد إلى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان إلى أخيه يقول يا أمير المؤمنين أني ما أجرت يزيد بن المهلب إلا لأنه هو وأبوه وإخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجر عدوا لأمير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه وأغرمه أربعة آلاف ألف درهم ظلما ثم طالبة بعدها بثلاثة آلاف ألف درهم وقد صار إلى واستجار بي فأجرته وأنا أغرم عنه هذه الثلاثة آلاف ألف درهم فإن راى أمير المؤمنين أن لا يختبرني في ضيفي فليفعل فإنه أهل الفضل والكرم فكتب إليه الوليد إنه لا بد أن ترسل إلي يزيد مغلولا مقيدا فلما ورد ذلك على سليمان أحضر ولده أيوب فقيده ودعا يزيد بن المهلب فقيده ثم شد قيد هذا إلى قيد هذا بسلسلة وغلها جميعا

بغلين وأرسلهما الى أخيه الوليد وكتب إليه أما بعد يا أمير المؤمنين فقد وجهت إليك يزيد وابن أخيك أيوب بن سليمان ولقد هممت أن أكون ثالثهما فإن هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك أبدا بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلني إذا شئت ثالثا والسلام.

فلما دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان في سلسلة واحدة أطرق الوليد استحياء وقال لقد أسأنا إلى أبي أيوب إذ بلغنا به هذا المبلغ فأخذ يزيد ليتكلم ويحتج لنفسه فقال له الوليد ما يحتاج إلى الكلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج ثم أنه أحضر حدادا وأزال عنهما الحديد وأحسن اليهما ووصل أيوب ابن أخيه بثلاثين ألف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين ألف درهم وردهما إلى سليمان وكتب كتابا إلى الحجاج يقول له لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فإياك أن تعاودني فيه بعد اليوم فسار يزيد إلى سليمان بن عبد الملك وأقام عنده في أعلى المراتب وأرفع المنازل.

جمرة لا يطفئها إلا عبرة:

وقال سليمان بن عبد الملك عند موت ابنه لعمر بن عبد العزيز ورجا ابن حيوة: إن في كبدي جمرة لا يطفئها إلا عبرة فقال عمر اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر فنظر إلى رجاء كالمستريح بمشورته فقال رجاء أفضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من بأس لقد دمعت عينا رسول الله على ابنه إبراهيم وقال:"**إن العين لتدمع وإن القلب ليخشع ولانقول ما يسخط الرب وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون**- فأرسل سليمان عينيه حتى قضى أربه ثم أقبل عليهم قال لولا نزفت هذه العبرة

لا نصدع كبدي ثم إنه لم يبك بعدها [1].

إذا لم أشتهه تركته حتى أشتهيه:

قال سليمان بن عبد الملك لسالم بن عبد الله، وقد رآه حسن السحنة: أي شيء تأكل؟ قال: الخبز والزيت، وإذا وجدت اللحم أكلته. قال له: وتشتهيه؟ قال: إذا لم أشتهه تركته حتى أشتهيه.

أرى يا أمير المؤمنين دنيا تأكل بعضها:

حج سليمان بن عبد الملك فلما أشرف في انصرفه على قديد، نظر من عسكره فأعجبه ما رأى من كثرته، ومعه عمر بن عبد العزيز، فقال له: كيف ترى يا أبا حفص؟ قال: أرى يا أمير المؤمنين دنيا تأكل بعضها، أنت المبتلي بها والمسؤول عنها.

عظني:

قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم المدني: عظني. فقال: عظم ربك أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك [2].

كلام أبي حازم لسليمان بن عبد الملك :

حج سليمان بن عبد الملك فلما قدم المدينة للزيارة بعث إلى أبي حازم الأعرج وعنده ابن شهاب فلما دخل قال تكلم يا أبا حازم قال فيم أتكلم يا أمير المؤمنين قال في المخرج من هذا الأمر قال يسير إن أنت فعلته قال وما ذاك قال لا تأخذ الأشياء إلا من حلها ولا تضعها إلا في أهلها قال ومن يقوى على ذلك قال من قلده الله من أمر الرعية ما قلدك قال أعطنى أبا حازم قال اعلم أن هذا الأمر لم يصر إليك إلا

(1) شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية، 1986، 1 /290، 299 - 300، 586/2.

(2) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ص189، 237، 244.

بموت من كان قبلك وهو خارج من يديك بمثل ما صار إليك قال يا أبا حازم أشر علي قال إنما أنت سوق فما نفق عندك حمل إليك من خير أو شر فاختر أيهما شئت قال مالك لا تأتينا قال وما أصنع بإتيانك يا أمير المؤمنين إن أدنيتنى فتنتنى وإن أقصيتنى أخزيتنى وليس عندك ما أرجوك له ولا عندي ما أخافك عليه قال فارفع إلينا حاجتك قال قد رفعتها إلى من هو أقدر منك عليها فما أعطاني منها قبلت وما منعنى منها رضيت.

ودخل عليه أبو حازم الأعرج فقال يا أبا حازم ما لنا نكره الموت فقال لأنكم عمرتم دنياكم وأخربتم آخرتكم فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب قال فأخبرني كيف القدوم على الله قال أما المحسن فكالغائب يأتى أهله مسرورا وأما المسيء فكالعبد الابق يأتى مولاه محزونا قال فأي الأعمال أفضل قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فأى القول أعدل قال كلمة حق عند من تخاف وترجو قال فأى الناس أعقل قال من عمل بطاعة الله قال فأى الناس أجهل قال من باع آخرته بدنيا غيره قال عظني وأوجز قال يا أمير المؤمنين نزه ربك وعظمه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك فبكى سليمان بكاء شديدا فقال له بعض جلسائه أسرفت ويحك على أمير المؤمنين فقال له أبو حازم اسكت فإن الله عز و جل أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم خرج فلما صار إلى منزله بعث إليه سليمان بمال فرده وقال للرسول قل له والله يا أمير المؤمنين ما أرضاه لك فكيف أرضاه لنفسي.

فإنها زلة ولا أعود لمثلها :

وحضر سفرة سليمان أعرابى فنظر إلى شعرة في لقمة الأعرابي فقال: أرى شعرة في لقمتك يا أعرابي قال وإنك لتراعينى مراعاة من

يبصر الشعرة في لقمتى والله لا واكلتك أبدا فقال استرها يا أعرابى فإنها زلة ولا أعود لمثلها [1].

اشتريته بدرهمين:

عن مولى لعمرو بن حريث قال: شخصت إلى سليمان بن عبد الملك، فقيل لي: إنك تَرِدُ على أفصح العرب، وسيسألك عن المطر، فانْظُرْ ما تجيبه، فقلت: ما عندي من الجواب إلاّ ما عند العامّة، فقيل لي: ما ذلك بمُقْنِع عنده، فلقيني أعرابي فقلت: هل لكَ في درهمين. فقال: إنّي والله محتاج إليهما، حريصٌ عليهما، فما شَأْنُك؟ فقلت: لو سألك سائل عَنْ هذا المطر بمَ كنت تُجيبه؟ قال: أو يَعْيَا بهذا أحد؟ قلت: نعم، سَائِلُكَ قال: أَتَعْيَا أن تقول: أصابتنا سماءٌ، عَمد لها الثَّرى، واتصَل بها العُرَى، وقَامَتْ منها الغُدُر، وأتتك في مثل وِجَار الضَّبُعِ؟ فكتبتُ الكلامَ، وأعطيتُه درهمين: فكان هِجِّيرَايَ على الرَاحلة، فإذا نزلت أقْبَلت عليه وأمثل نفسي كأني واقفٌ بين يديه، وقد سلَّمت عليه بالخلافة وهو يَسْأَلني عن المطر فلمّا انتهيتُ إليه سألني فاقتصَصْت الكلامَ، فكَسَر إحْدَى عينيه، وقال: إني لأَسمَع كلاما- ما أنت بأبي عُذْرته. قلت: صدقت وحياتك يا أمير المؤمنين اشتريته بدرهمين فاستغرب ضَحِكا-، ثم أحْسَنَ صِلَتي.

هذه والله المعرِفةُ بقَدْرِ النَعمة:

- وخطب سليمانُ بن عبد الملك فقال: أيها الناسُ، مَنْ لم يعلم أبْوَابَ مَدْخَله في الكرامة، وجَهِل طريقته التي وقَعَتْ به على النَعمة كان بِعُرْضِ رُجوعٍ إلى دارِ هَوَان، وانقلابٍ بفادح خُسْران.

(1) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية - بيروت، 2 / 417، 241/3.

فقام إليه أبو وائلة السدوسي، وهو حاجِبُه، فقال: يا أميرَ المؤمنين، كنّا كما قال الله تعالى:{ۈ ۇ ۆ ۆ و و ۇ ۇ ۉ ۉ ې ې} [الإنسان: ١]، ثم صِرْنا كما قال زُهير: الوافر:

يَدُ المَلِكِ الجليلِ تناولَتْهُمْ : بإحسانٍ فليس لها مُزيلُ
لأنَ الخيرَ أَجْمَعَ في يَدَيْه :: ورَبي بالجزاء له كَفِيلُ

فقال سليمان: هذه والله المعرِفةُ بقَدْرِ النَعمة، والعلمُ بما يَجب للمنعم.

فالْعَنُوه، لعنهُ الله:

صعد خالدُ بن عبد الله القسري المنبر يومَ جمعة، فخطب وهو إذْ ذاك أميرٌ على مكة، فذكر الحجَّاج فأحْمَد طاعتَه، وأثْنى عليه خيرا-، فلمّا كان في الجمعة الثانية وردَ عليه كتابُ سليمان بن عبد الملك يأمرُه فيه بِشَتْم الحجّاج وذِكْرِ عيوبهِ، وإظهار البراءة منه، وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن إبليس كان مَلَكا- من الملائكة، وكان يُظْهِر من طاعة الله ما كانت الملائكة ترَى له بذلك فضلا-، وكان الله تعالى قد علم من غِشّه ما خَفِيَ عن الملائكة، فلما أراد الله فضيحتَه ابتلاه بالسجود لآدم، فظهر لهم ما كان يُخْفيه عنهم فلعنوه؛ وإن الحجاجَ كان يُظْهِر من طاعة أمير المؤمنين ما كنَّا نرى له بذلك فضلا-، وكان الله عزّ وجلّ، أطْلَعَ أميرَ المؤمنين من غِلّه وخُبْثه على ما خَفِيَ عنّا، فلما أراد الله فضيحتَه أجرى ذلك على يدي أمير المؤمنين، فالْعَنُوه، لعنهُ الله. ثم نزل.

الصمتُ:

وذُكِر الصمتُ في مجلس سليمان بن عبد الملك فقال: إن مَنْ تكلم فأَحسن قَدَر أنْ يسكتَ فيُحْسِن، وليس مَنْ سكت فأَحسن يتكلمُ فيُحْسِن.

لا تَقُلْ هذا في الحجاج:

دخل يزيد بن أبي مُسْلم، كاتبُ الحجاج، على سليمانَ بن عبد الملك، فازدَرَاه ونَبَت عينه عنه، فقال: ما رأَت عيني كاليوم قطِّ، لَعن الله امرأ أَجرَّك رَسَنَه، وحكّمك في أمره. فقال: يا أميرَ المؤمنين، لا تَقُلْ ذلك؛ فإنك رأيتَني والأمر عني مُدْبر، وعليك مُقْبِل، فلو رأيتني والأمر عليّ مقبل، وعنك مُدْبِر، لاستعظمتَ منّي ما استصغرتَ، واستكبرتَ ما استقلَلْت.

قال: عزمت عليك يا ابْنَ أبي مُسلم لتخبرني عن الحجاج، أتراه يَهوِي في جهنم أم قد قرَّبها؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لا تَقُلْ هذا في الحجاج، وقد بذل لكم النصيحةَ، وأمَّن دولتكم، وأخاف عدوَّكم، وكأني به يوم القيامة وهو عن يمين أبيك، ويَسار أخيك، فاجعله حيثُ شئت.

فقال له سليمان: أُعْزُبْ إلى لعنة الله فخرج، فالتفت سليمانُ إلى جلسائه فقال: قاتله الله ما أَحْسَنَ بديهتَهُ، وترفيعه لنفسه ولصاحبه وقد أحسن المكافأة في الصنيعة، خَلُّوا عنه.

وقال سليمانُ بن عبد الملك: ما سألني أحدٌ قط مسألة يثقلُ علي قضاؤها، ولا يخفُّ عليّ أداؤها، بلفظٍ حسنٍ يجمعُ له القلب فهمَه إلا قضيتُها، وإن كانت العزيمة نفذت في منعه، وكان الصواب مستقرا- في دفعه، ضنا- بالصواب أن يردّ سائله، أو يحرم نائله [1].

وإلا محوتك!:

ولما استخلف سليمان بن عبد الملك تهدد الحجاج بالعزل، فكتب إليه الحجاج: يا سليمان إنما أنت نقطة من مداد، فإن رأيت في ما رأى

(1) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الأداب وثمر الألباب، تحقيق: أ. د / يوسف على طويل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1417 هـ - 1997م، 1 / 245، 298، 317، 86/2، 392، 415.

أبوك وأخوك كنت لك كما كنت لهما، وإلا فأنا الحجاج وأنت نقطة إن شئت أتيتك وإلا محوتك! فأقره على عمله.

فيعمل بعمل الفراعنة!:

وقال سليمان بن عبد الملك لبلال بن أبي بردة: صف لي الحجاج؛ فقال: كان يتيزين بزينة المومسة، فإذا صعد المنبر تكلم بكلام القسيسين، وينزل فيعمل بعمل الفراعنة! (1).

حيلة أحد عمال سليمان بن عبد الملك:

لما استخلف سليمان بن عبد الملك دفع عمال أخيه الوليد إلى يزيد بن المهلب وأمره ببسط العذاب عليهم، واستخراج المال منهم، وكان فيهم رجل من بني مرة فقال ليزيد: أما أنا فلست بذي مال، ولا تنتفع بتعذيبي ولكن عشيرتي تفكني بأموالهم، فأذن لي في أن أجول فيهم. فأذن له فقال لهم: إن أمير المؤمنين قد أخذني بمال، والمال عندي، ولكن أكره أن أقر بالخيانة، فاضمنوا له هذا المال عني وأطلقوني من حبسه، ولا غرم عليكم فإني مضطلع بأداء هذا المال. فنهض وجوه عشيرته في أمره، وضمنوا المال عنه وأطلقوه، فلما أخذوا بالمال قالوا للرجل: أد المال كما زعمت. فقال: يا حمقي أتظنون أنني اختتنت مالا- تعرضت فيه للمأثم وسخط الخليفة وعقوبته، وأؤديه اليوم طائعا-، وقد صيرت ما أطالب به في أعناقكم، لبئس ما ظننتم اغرموه من أعطياتكم وأنا فيه كأحدكم. ففعلوا ذلك وهو كأحدهم (2).

(1) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 1 /76، 500، 33/2.
(2) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، 92/4.

فأشكو ربي:

دخل محمد بن كعب القرظي على سليمان بن عبد الملك في ثياب رثة، فقال له سليمان: ما يحملك على لبس هذا؟ قال: أكره أن أقول الزهد فأطري نفسي، أو أقول الفقر فأشكو ربي.

والله لا أسأل في بيت الله غير الله:

حج سليمان بن عبد الملك فدخل البيت فرأى سالم بن عبد الله فقال: ارفع حوائجك، فقال: والله لا أسأل في بيت الله غير الله.

فأين قوله يا ابن اللخناء؟

كان سليمان بن عبد الملك إذا حضر طعامه فتحت الأبواب ورفعت الستور ودخل الناس، فإذا انقضى ذلك نادى مناديه: إن أمير المؤمنين مرتفع من مجلسه، فهل لأحد منكم حاجة؟ فقام رجل ذات يوم فقال: يا أمير المؤمنين، إن لي في بيت مالك مائتي دينار، وأنا الآن مملك بابنة عم لي، وقد ضرب علي أجل إن جزته فرق بيني وبينها، فإن رأى أمير المؤمنين أسلفني هذه المائتين فأقضي عني، فقال: يا ابن اللخناء [1]، أقسطار أنا حتى أسلفك؟ بل أهب لك مائتي دينار ومائتي دينار، وجعل يكررها حتى انقطع نفسه على ثلاثة آلاف دينار، فقبضها الرجل، فأتاه الناس يهنئونه قال: فأين قوله يا ابن اللخناء؟ فبلغ ذلك سليمان فقال: صدق، وددت أني افتديتها بأضعاف ذلك ولم أقلها [2].

(1) اللخناء: المنتنة الريح.
(2) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 1/ 75، 263، 265، 2 / 16.

ألست صفوان بن سليم؟!:

قدم سليمان بن عبد الملك المدينة وعمر بن عبد العزيز عامله عليها، قال: فصلى بالناس الظهر، ثم فتح باب المقصورة وقد استند إلى المحراب، واستقبل الناس بوجهه، فنظر إلى صفوان بن سليم الزهري عن غير معرفة، فقال: يا عمر من هذا؟ما رأيت سمتا- احسن منه، قال: يا أمير المؤمنين هذا صفوان بن سليم، قال: يا غلام كيس فيه خمسمائة دينار، فأتي به فقال لخادمه: ترى هذا الرجل القائم يصلي؟فوصفه للغلام حتى أثبته، قال: فخرج الغلام بالكيس حتى جلس إلى صفوان، فلما نظر صفوان إليه ركع وسجد ثم سلم، فأقبل عليه وقال: ما حاجتك؟قال: أمرني أمير المؤمنين، وهو ذا ينظر إليك وإلي، أن ادفع هذا الكيس، ويقول لك: استعن بهذه على زمانك وعلى عيالك، فقال صفوان للغلام: ليس أنا الذي أرسلت إليه، قال الغلام، ألست صفوان ابن سليم؟! قال بلى أنا صفوان بن سليم قال إليك أرسلت؟ قال: اذهب فاستثبت فإذا أثبت فهلم، فقال الغلام: أمسك الكيس معك وأذهب أنا، قال: لا إذا أمسكت فقد أخذت، ولكن اذهب واستثبت وأنا ها هنا جالس، فولى الغلام، وأخذ صفوان نعليه وخرج، فلم ير بها حتى خرج سليمان من المدينة.

لكأنما معه ملكان:

جاء عطاء بن أبي رباح إلى سدة سليمان بن عبد الملك فجعل يقعقع الحلقة، فقال سليمان بن عبد الملك: افتحوا له، وتزحزح له عن مجلسه فقال: أصلحك الله، احفظ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبناء المهاجرين والأنصار قال: أصنع بهم ماذا؟ قال: انظر في أرزاقهم، قال: ثم ماذا؟ قال: أهل البادية تفقد أمورهم فإنهم مادة العرب، قال: ثم ماذا؟ قال: ذمة المسلمين تفقد أمورهم وخفف عنهم

من خراجهم فإنهم عون لك على عدو الله وعدوهم، قال: ثم ماذا؟ قال: أهل الثغور تفقدهم فإنه يدفع بهم عن هذه الأمة، قال: ثم ماذا؟ قال: يصلح الله أمير المؤمنين. فلما ولى قال: هذا والله الشرف لا شرفنا، وهذا والله السؤدد لا سؤددنا، والله لكأنما معه ملكان ما أقدر أن أراجعه في شيء سألني، ولو سألني أن أتزحزح عن هذا المجلس لفعلت.

هذا وأبيكم السؤدد:

قدم سليمان بن عبد الملك المدينة فأهدى له خارجة بن زيد بن ثابت ألف عذق موز، وألف قرعة عسل أبيض، وألف شاة، وألف دجاجة، ومائة إوزة، ومائة جزور، فقال سليمان: أجحفت بنفسك يا خارجة، قال: يا أمير المؤمنين قدمت بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت في أهل بيتي مالك بن النجار، وأنت ضيف، وإنما هذا قرى، فقال: هذا وأبيكم السؤدد. ثم سأل عن دينه فقيل خمسة وعشرون ألف دينار، فقضاها عنه وأعطاه عشرة آلاف دينار.

ما أعظم بركة المؤمن في كل شيء:

قال محمد بن صفوان الضبي: كنت أقوم على رأس سليمان بن عبد الملك، فدخل عليه رجل من حضرموت من حكمائهم، فقال له سليمان: تكلم بحاجتك، فقال: من كان الغالب على كلامه النصيحة وحسن الإرادة أوفى به كلامه على السلامة، وإني أعوذ بالذي أشخصني من أهلي حتى أوفدني عليك أن ينطقني بغير الحق، وأن يذلل لساني بما فيه سخطه علي، وإن إقصار الخطبة أبلغ في أفئدة أولي الفهم من الإطالة والتشديق في البلاغة، إلا وإن من البلاغة يا أمير المؤمنين ما فهم وإن قل، وإني مقتصر على الاقتصار مجتنب لكثير من الإكثار. أشخصني إليك والي عسوف ورعية ضائعة، وإنك

إن تعجل تدرك ما فات، وإن تقصر تهلك رعيتك هناك ضياعا-، وها فخذها إليك قصيرة موجزة. فقال سليمان: ادع لي رجلا- من الحرس فاحمله على البريد وقل له: إذا أتيت البلاد فلا تنزل من مركبك حتى تعزله، ومن كانت له ظلامة أخذت له بحقه. ثم أمر للحكيم بمال فأبى أن يقبل وقال: إني والله يا أمير المؤمنين أحتسب سفري على الله عز وجل، وإني أكره أن آخذ عليه من غيره أجرا-. قال: انطلق بارك الله عليك. فلما ولى قال سليمان: ما أعظم بركة المؤمن في كل شيء [1].

ويلكم زيدوني:

دخل سعيد بن خالد بن أسيد على سليمان بن عبد الملك، وكان جوادا، إن لم يجد شيئا- كتب على نفسه صكا حتى يوسر، فتمثل له سليمان:

إني سمعت مع الصباح مناديا- :: يا من يعين على الفتى المعوان

ثم قال حاجتك؟ قال: ديني؛ قال: كم هو؟ قال ثلاثون ألف دينار؛ قال: لك دينك ومثلاه وعشرة آلاف، فأمر له بمائة ألف دينار. فلما ولى هشام أتى بنو سعيد هشاما فقالوا: أن أبانا قد تركنا وما في قريش أحوج منا، فحجر عليه وأجرى عليه في كل يوم شاة، فقال: ويلكم زيدوني أبلغكم أني بازي.

ما أعظمها من يد!:

أوسع رجل لرجل في مجلس سليمان بن عبد الملك، وكان الناس مزدحمين، فقال سليمان: ما أعظمها من يد! وأحسنه من معروف! وما ضاعت يد أودعها رجل رجلا-.

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 1 / 51، 99/1، 161، 167، 339.

فتغير وجه سليمان:

حج سليمان بن عبد الملك فلقيه طاووس، فقيل حدث أمير المؤمنين، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**إن من أعظم الناس عذابا- يوم القيامة من أشركه الله في سلطانه فجار في حكمه-** . فتغير وجه سليمان.

ولكن أريد التحفظ:

كان سليمان بن عبد الملك يجمع جواريه ونسائه، ويحدثهن بضروب من العلم، ثم يقول: إني لأعلم أنكن لا تدرين ما أقول ولكن أريد التحفظ.

يحك رأسه حتى كاد يجرحه:

استحضر سليمان بن عبد الملك طاووسا- فسكت طويلا- ثم قال: هل تعلمون أول ما خلق؟ قالوا: لا، قالا: القلم، ثم قال: فهل تعلمون آخر من يموت؟ قالوا: لا، قال: ملك الموت، قال: هل تعلمون أبغض خلق الله؟ قالوا: لا، قال: إن أبغض خلق الله إليه عبد أعطاه سلطانا- فعمل بمعصيته. فأخذ سليمان يحك رأسه حتى كاد يجرحه [1].

من كلامه - غفر الله له - :

- خطب سليمان بن عبد الملك بالجابية وقال: أيها الناس، عظوا أنفسكم، ولا تستسلموا إلى الغفلة فتؤديكم إلى الحسرة، ولا تركنوا إلى الآمال في استسعاف التفريط فتبيدكم الآجال بسيف المنون، أصارنا الله وإياكم ممن حسن في الخير أثره، دعاء مسموعا-، وعملا- مرفوعا-.

(1) الزمخشري، ربيع الأبرار، 1 / 93، 197، 276، 327، 442،.

- قيل: أول كلام بارع سمع من سليمان بن عبد الملك قوله: الكلام فيما يعنيك خير من الكلام فيما يضرك.

وقال سليمانُ بن عبد الملك: ما سألني أحدٌ قط مسألة يثقلُ علي قضاؤها، ولا يخفُّ عليّ أداؤها، بلفظٍ حسنٍ يجمعُ له القلب فهمَه إلا قضيتُها، وإن كانت العزيمة نفذت في منعه، وكان الصواب مستقرا-

(1) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الأداب وثمر الألباب، تحقيق: أ. د / يوسف على طويل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1417 هـ - 1997م، 1 / 245، 298، 317، 86/2، 392، 415.